

## فرانز فانون مثقف الحرية الذي حاور الفلسفة الغربية

الألماني حيث يرى أن الوعي بالذات "لا يكون في ذاته ولذاته إلا حين يكون ومن حيث يكون في ذاته ولذاته لوعي آخر بالذات: أي من حيث هو ملاق منه عرفانا بكونه كذلك"، ويعني هذا أن تحقق الوعي بالذات في نظر فانون لا يمكن أن يكون حصيلة لمعرفة الذات لذاتها فقط وإنما يتم بوجود الذات و"الأخر" ضمن شرط الاعتراف المتبادل بينهما. وقد برز هذا النقاش في كتابه "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" وتركز على نقد الجدلية التقليدية بين السيد والعبد عند هيجل. ويرى فانون أن هذه الجدلية المثالية لا تحل في ظل الشرط الاستعماري وفقاً لفرضية هيجل المقترحة في كتابه "فيلسوف لوجيا الروح" على أساس أن العبد يحول الطبيعة وبذلك يستمد اعتراف السيد به من هذا التحول ومن تمتع ذلك السيد بخيرات عمل العبد. ولنفس هذه الجدلية المثالية يدعو فانون إلى تمرد العبد على السيد ضمن إطار لحظة التحرر الوطني لبناء معادلة بديلة تقضي إلى تصور مختلف للفلسفة أيضاً لأنه "لا يكون المرء إنساناً إلا بقدر ما يرغب في فرض نفسه على إنسان آخر لكي يجعله يعترف به، وما دام لا يحظى باعتراف الآخر فعلياً، فإن هذا الآخر يظل موضوعاً فعله، فقيمه وحقيقته الإنسانيتان تتوقفتان على هذا الآخر، وعلى اعتراف هذا الآخر به. إن معنى حياته يتكف في هذا الآخر".

أزراح عمر  
كاتب جزائري

بدخل هذه السنة الجديدة يكون قد مضى على وفاة المفكر المارتينيكي فرانز فانون نصف قرن وتسع سنوات كاملة، ولقد انعقدت بهذه المناسبة ندوات في الغرب، مثلما انعقدت من قبل، عشرات الندوات وصدرت دراسات وكتب كثيرة حول فكره ونضاله كما أنتجت أفلام مؤثرة تخلد مساره كإنسان ومقاوم للكولونيالية، ولكن الجزائر لم تهتم بذكرى وفاته رسمياً أو شعبياً أو على مستوى ما يدعى بالمثقفين أيضاً رغم أنه كان أحد أقطاب مجاهدي حركة التحرر الوطني الجزائري وصوت ثقافة الحرية.

في هذا السياق نجد الاهتمام الغربي المتزايد بفانون يمتد إلى إبراز حواره النقدي مع الفلسفة الغربية بهدف إنزالها من فضاء التجريد والمفاهيم الصماء إلى الواقع الإنساني. وساكفتي هنا برصد بعض ملامح هذا الحوار.

ففي كتابها "قوة الأشياء" أوضحت المفكرة الوجودية الشهيرة سيمون دو بوفوار أن فانون الذي عرفته عن كثب قد ارتبط برفيق حياتها الفيلسوف جان بول سارتر ارتباطاً مؤسساً على الشراكة في المواقف ضد الاستعمار الفرنسي، وفي تأويل عنف الخاضعين للاستعمار على أنه ليس بظاهرة عدوانية وإنما هو مقاومة مبررة أخلاقياً.

والملاحظ في هذا السياق أن الدراسات العربية القليلة جدا والمكرسة للمفكر فرانز فانون تخلو غالباً، إن لم نقل كلياً، من تقصي الكيفية التي حاور بها فانون الفلسفة الغربية بشكل عام وفلسفات كل من جورج فلهلم فريدريك هيجل، كارل ماركس، كارل ياسبرز وموريس ميرلو بونتي وغيرهم، وزيادة على ذلك هناك انعدام الدراسات العربية التي تعنى بتحليل كتابات فانون وعلاقة المستعمر مع المستعمر من منظوري التحليل النفسي، والطب النفسي الذي هو التخصص الأكاديمي لفرانز فانون. وفي الواقع فإن التمتع في مرجعيات فانون الفكرية يكشف أنه كان منغصاً على نحو عميق في عمليات المناقشة مع الفكر الفلسفي الغربي، وفي تمثيل وتوظيف نظريات التحليل النفسي بعدها الفلسفي والعيادي معاً لتفكيك الظاهرة الكولونيالية ونفسية المستعمر والمستعمر معاً. ومن الواضح أن عمليات المناقشة الفانونية ليست مقتصرة على اختبار مفاهيم ونظريات الفلاسفة الغربيين، بل قد تحولت على يديه إلى سلاح تحريري من الكولونيالية الغربية. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن نقده الفلسفي هو دحض للنظريات الفكرية والفلسفية التي تسوغ أشكال النفي، والاعتزاز، ونزع السيادة عن الإنسان ضمن تعسف الشرط الكولونيالي.

نظراً لما تقدم يمكن القول إن فانون قد استطاع أن يقيم محاكمة لتناقضات الزعة الأنسية الغربية ذات المعيار المزدوج، ونتيجة لذلك نجد في كتاباته حواراً حصباً مضمراً أحياناً ومكشوفاً أحياناً أخرى مع الفيلسوف هيجل، وبشكل خاص مع كتابه الشهير "فيلسوف لوجيا الروح" أو "ظاهرة الفكر".

في هذا الخصوص يتكشف لنا أن حوار فانون ينطلق من مناقشة مشكلة الوعي الذاتي لدى هذا الفيلسوف

## شاعر عراقي جافي الأيديولوجيا وانتصر للجمال وجرأة اللغة

علي جعفر العلق: اعتبار قصيدة النثر ذروة الحدائث الشعرية خطأ دارج



الإيقاع ليس مكوناً ثانوياً في الشعر

والتصورات، ووجهات النظر حول الموهبة، والإبداع، ومحفزات الكتابة. وذلك كله يدفع بالشاعر إلى الكشف عنها عن طريق الكتابة النقدية. إضافة إلى ذلك فإن القصيدة لا تتسع للكثير من هذه الأفكار نظراً إلى استخدامها الجدي "المعنى المراءوغ"، عن اثنين من كتابها المميزين: سركون بولص وأمجد ناصر. وقبل هذا الكتاب كنت قد كتبت عن محمد الماغوط وميسون صقر".

ويشير العلق إلى أن القول إن قصيدة النثر ممثلة للتقدم الشعري، أو ذروة الحدائث الشعرية قول يجافي الحقيقة، فهي ليست جديدة، على حداثة القصيدة العربية. إنها أقدم من قصيدة التفعيلة. فما كتبه أمين الريحاني وجبران خليل جبران مثلاً، وهو التمهيد الأمثل للقصيدة النثر وإن كان بتسميات مقاربة كالنثر الشعري أو الشعر المنثور، سبق قصيدة التفعيلة، التي كتبها السياب وجبله، بفترة ليست قصيرة.

### حالة الصراع بين الأشكال الشعرية ظاهرة لا تمت بصلة متينة إلى الإبداع الذي يتطلب العمل بكد ودراية

ويرى العلق في الإيقاع زينة أو حلية شعرية، مع أن الأمر قد لا يكون كذلك لدى البعض من كتاب قصيدة التفعيلة. لذلك فإن الإيقاع مكون شعري وبنوي، يدفع بالنص إلى نضجه الجمالي والدلالي وتماسك نسيجه. وفي المقابل فإن كتابة القصيدة بالنثر لا تضمن مستوى شعرياً عالياً بالضرورة. بل يتوقف ذلك على قوة الموهبة ووعي الشاعر بلعبة البناء الشعري واشتراطاته الصعبة.

### حركة النقد

عن تأثير دراسته الأكاديمية ودراساته للشعرية العربية واشغالاته الأكاديمية وبالعديد من المهام كرئاسة تحرير مجلة أقلام وغيرها على تجربته الشعرية سواء سلباً أو إيجاباً، يؤكد العلق أن "البحث النقدي في الشعرية العربية، أو التامل في تحولاتها جعلني على تماس دائم مع جزئيات العمل الشعري وديناميكية حركته، وزودني بالوعي التفصيلي به مما ترك النوافذ مفتوحة، وتبادل الخبرة قائماً بين ما أكتبه وما أكتب عنه".

ويفسر العلق ظاهرة الجمع بين الشعر والأكاديمية والتي تركزت مع شخصيات: أدونيس، عبدالعزيز المقالح، سلمى الجبوسى ونازك الملائكة وعبدالله الغذامى وغيرهم، لافتاً إلى أن "هذه الظاهرة كانت ترافق الأدب في كل زمان ولدى الأمم جميعاً. وهي ناتج طبيعي بل حتمي لعملية الإبداع ذاتها، فهذه العملية تخلف في النفس الكثير من الأسئلة، والتاويلات

يجمع الشاعر العراقي علي جعفر العلق بين الكتابة الشعرية والنقدية، ما حوله أن ينحت تجربة خاصة مختلفة، تجمع بين التنظير والممارسة. "العرب" التقت الشاعر بمؤسسة العويس بإمارة دبي، وكان لها معه هذا الحوار حول هذه التجربة الثرية بعباءتها شعراً ونقداً وحضوراً في الحراك الثقافي.

الأيديولوجي. كنت، كما قال الراحل فوزي كريم، لا التفت إلى الآخرين، بل أعود باللغة إلى براءتها الأولى لتكون أشد بدائية. وهكذا حملت تلك المجموعة الكثير مما يشير إلى القصيدة التي أسعى إلى كتابتها. وظلت، في المجموعات التالية، أحاول بإصرار تعميق ما بدأت في المجموعة الأولى. وهنا يمكنني الإشارة إلى مجموعات بعينها لأنها ساهمت في تقريبي من قصيدتي التي تمثلني إلى أكبر حد ممكن: في مجموعتي الثانية "وطن لطبور الماء" 1975 مثلاً، بلغ شغفي الصوفي بالطبيعة ذروته. بينما مثلت "أيام آدم" انعطافة إلى الحقيقة الكونية القاهرة من خلال الجسد وسطوة الزمن عليه".

أما مجموعته "ممالك ضائعة" فبرى العلق أنها تمثل صرخته الكبرى وهو يرى الجمال يتلاشى والفراديس تضع تباعاً، كما أن مجموعة "ذاهب لاصطيد الندى" تقطير للغة والتماعاتها البعيدة. بينما كان في "نداء البدايات" و"حتى يفيض الحصن بالكلام" ثم "وطن يتهجن المطر" كمن يستنهض شعريه الطفولة وتفاصيلها التي كانت ولا تزال تومض وتختفي في أقاصي الخيال والذاكرة.

أما مجموعته الأخيرة "طائر يتعثر بالضوء" فهي توسيع لمبنى النص وتعد خصائصه الإيقاعية والدلالية. وحول رؤيته لحركة الشعر العربي انطلقاً من أن فترة السبعينات شهدت حالة تمرد على جيل الريادة بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وصالح عبدالصبور، كما شهدت الثمانينات حالة تمرد أخرى متمثلة في قصيدة النثر.. والآن هناك حالة أقرب إلى الصراع بين أشكال القصيدة، يرى العلق أن "حالة الصراع هذه بين الأشكال الشعرية ظاهرة لا تمت بصلة متينة إلى الإبداع الذي يتطلب، كما اعتقد، العمل على النص الشعري بكد ودراية ومحبة، بدلا من الصراع الذي ياكل كثيراً من عزلة المبدع وانصرافه إلى الاشتغال على مشروع بعيد عن الصخب وضجيج المناكفات".

ويتابع العلق "إن قصيدة النثر، نص إبداعي حقيقي، ويمثل المنجز النثري لكتابها الموهوبين جانباً مهماً من حيوية القصيدة العربية، غير أن

محمد الحماصيني  
كاتب مصري

انطلاقاً من أوائل سبعينات القرن العشرين تواصل تجربة الشاعر والناقد العراقي الدكتور علي جعفر العلق العطاء إبداعاً ودراسة ونقداً وحضوراً فاعلاً متميزاً في الحراك الثقافي العربي، فقد قدم للشعر العربي اثنتي عشرة مجموعة شعرية شكلت خصوصية في سياق التجربة الشعرية العربية، واستحق بها جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية في حفل الشعر، الدورة السادسة عشرة 2018 - 2019.

وفي النقد قدم العلق ما يزيد عن ست عشرة دراسة جعلها كانت حول الشعر والرواية، وقد كانت تجربته الشعرية والنقدية موضع اهتمام الكثير من النقاد والدارسين، وكُتبت عنهما اثنتي عشرة رسالة وأطروحة للماجستير والدكتوراه، في الجامعات العراقية والمصرية والأردنية. هذا بالإضافة إلى عمله الأكاديمي ومشاركته عضواً في العديد من لجان التحكيم الشعرية والنقدية العربية منها مثل جائزة الملك فيصل، وجائزة الشيخ زايد للكتاب، وجائزة الشعر العربي، القاهرة.

### الشعر والإيقاع

بداية يلقي العلق الضوء على المراحل المفصلة في مسيرته الممتدة تقريباً على مدار أكثر من أربعين عاماً، يقول "حين أتحدث عن مفاسل دالة في تجربتي الشعرية فلا يمكنني أن أتجاوز مجموعتي الأولى "لا شيء يحدث.. لا أحد يجيء" الصادرة عام 1973، التي فاجت الكثيرين بما جاءت به من جرأة في اللغة، وخرق للمألوف في بناء الصورة. هذه المجموعة التي وصفها الشاعر فاروق يوسف بأنها فتح في الشعرية العراقية. والمفارقة أنها صدرت في حمى الصراع من أجل قصيدة المعنى، والموضوع، والفكرة".

يضيف الشاعر "كان الهتاف اليساري والهتاف القومي كلاهما يملا المشهد الشعري في العراق. في ذلك الجو كنت أسعى، ومنذ البدايات، إلى قصيدة خاصة كانت تتابع أحياناً في تجربتها اللغوي، ومجاافة المعنى

### لا يكون المرء إنساناً إلا بقدر ما يرغب في فرض نفسه على إنسان آخر لكي يجعله يعترف به

ولكي يحل فانون المشكلة الهيجلية فإنه يدعو العبد/ المستعمر (بفتح الميم) إلى ممارسة الكفاح والمخاطرة بحياته لكي يحرر نفسه من المستعمر/ السيد، وعلى هذا الأساس أعلى فانون، ويشترك مع سارتر في هذا الموقف نفسه، الشرعية للعنف المضاد للعنف الاستعماري في إطار حركة التحرر الوطني الجزائري.

وفي هذا السياق وجدنا الفيلسوفة السياسية الألمانية حنة أرندت تعرض على العنف الذي تبناه فانون وتعتبره غير أخلاقي، ولكن مشكلة أرندت تتمثل في كونها لا تميز بين عنف الأفراد الذي ينشأ عن انفجارات العقد النفسية ومكبوتات اللاوعي والاعتزاز الاجتماعي إلخ... وبين فعل المقاومة التي يمارسها الشعب المحتل ضد كالمجتمع الأميركي مثلاً.

وفي الواقع فإن فانون يقيم حواراً نقدياً قوياً مع كارل ماركس أيضاً وذلك على أساس أن الاعتزاز لا ينشأ بسبب التفاوت الطبقي فقط، كما يحتاج ماركس، وإنما يفرض على الزنوج أيضاً بسبب لون بشرتهم السوداء كما هو الحال في مجتمعات التمييز العنصري كالمجتمع الأميركي مثلاً.

حوار فانون مع كارل ماركس تلخصه المفكرة الأميركية كيلي أوليفر كما يلي "في تاريخ الاستعمار والاستعباد فإن السلاسل التي تقيد العمال ليست بسلاسل ماركس الرأسمالية اللامرئية وإنما هي السلاسل الحقيقية".



مفكر ناصر كل المصطفيين